لهوى

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني لسنة ٢٠٠٩م

WWW.ATTAWEEL.COM

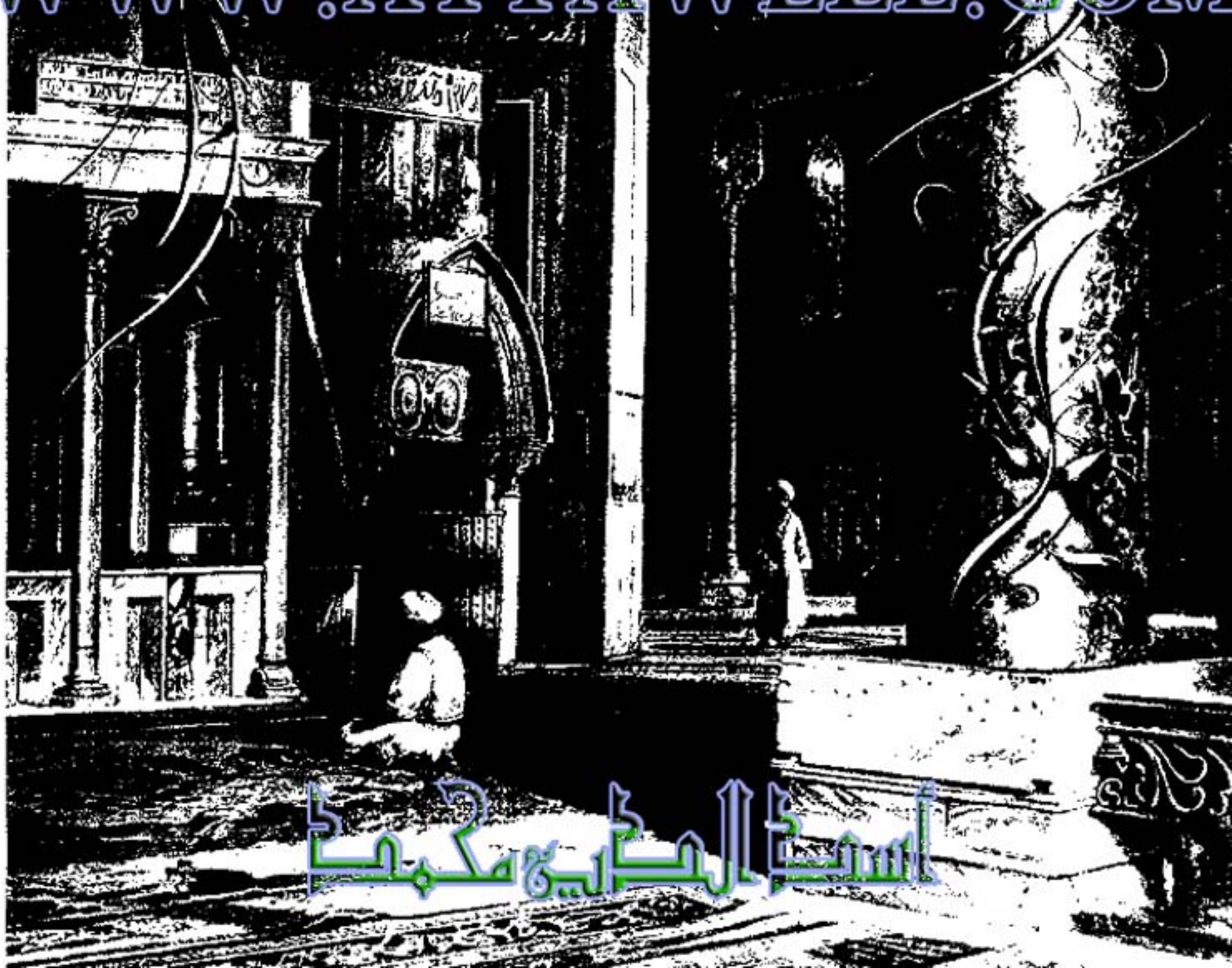

أسعد الحكيم

خصائص مدرسة حنين بن إسحق

في الترجمة

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

الموصل/ العراق

إن من بين العوامل التي ساعدت على قيام الحضارة العربية الإسلامية في بداية نشأتها، كان ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي خاصة في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وفي زمن المأمون على الأخص بلغت الترجمة أعلى درجات نضجها، فقد فاق المأمون جميع خلفاء بني العباس عناية ورعاية لهذه الحركة، مما دفع النقلة للإسهام والتفنن في نقل تراث الأمم الأخرى إلى العربية ومن مختلف اللغات لقد كان هؤلاء النقلة من جنسيات وأديان مختلفة جمعهم في (بيت الحكمة ببغداد) هدف مشترك، ألا وهو القيام بخدمة العلم عن طريق نقل ما خلفته أمم سابقة كاليونان والفرس والهند من تراث إلى اللغة العربية.

ويقدر المعنيون بتاريخ الترجمة بأن مجموع ما ترجم في هذا الدور من تاريخ حركة الترجمة يعادل جميع ما ترجم في الادوار الأخرى مجتمعة، بل يزيد على ذلك.

ولعل حنين بن إسحق العبادي (١٩٤-٢٦٠هـ/٨٠٩-٨٧٣م) وكان أشهر النقلة الذين برزوا في هذا الدور الرائع في مجال ازدهار حركة الترجمة، حيث عمل ((على إرساء قواعد علمية ثابتة ومكينة أمكن بفضلها أن ينتقل العمل العلمي الجاد إلى الآخرين، فكان أن التف حوله الأتباع الذين عملوا معه، وآنس بهم، وأكملوا مسيرته من بعده. عمل مترجما في عصر المأمون لكتب الأوائل وكلف بإصلاح ترجمات غيره من النقلة الذين عملوا في (بيت الحكمة في بغداد) أكاديمية العلماء في ذلك الوقت، فأخذ ينقل الكتب لكل طالب، وينقح ما ينقله الأتباع والنقلة الذين وجدوا المتسع في (بيت الحكمة) لإظهار مواهبهم العلمية والفكرية))[1].

والذي لاشك فيه أن حنيناً والذين عملوا معه وتلاميذه في (بيت الحكمة) شكلوا مدرسة كان لها طابع مميز في حركة الترجمة، واتصفت بخصائص مهمة يمكن حصرها ضمن خمسة أمور هي:

الخاصية الأولى. الترجمة بالمعنى:

يقول الشيخ صلاح الدين خليل أيبك الصفدي (٧٦٤هـ): ((والترجمة في النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها)).

((الطريق الثاني في التبويب: طريق حنين بن إسحق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل على معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها. وهذا الطريق أجود، ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق

WWW.ATTAWEEL.COM

والطبيعي والإلهي فإن الذي عربه منها لم يحتج إلى إصلاح))[1].

((إن جوهر هذه الطريقة (الترجمة بالمعنى). كما يدل عليها اسمها أيضاً. يعتمد على المعنى الشامل لكل جملة في أي كتاب يراد ترجمته، ومن ربط المعنى الكلي للجمل بعضها ببعض، حسب هذا الاسلوب يتكون مضمون الكتاب المترجم. والفارق الرئيس بين هذه الطريقة و(الترجمة الحرفية)، هو ان الترجمة هنا تقوم على الجملة مجتمعة لا على الكلمة منفصلة عن أختها الكلمة التالية لها. والواقع أن هذا الأسلوب هو أقرب إلى المنطق والفهم من الأسلوب السابق. ويعد حنين بن إسحق العبادي كما قلنا من اشهر النقلة الذين اتبعوا هذه الطريقة في ترجماتهم. وفي حقيقة الأمر أن هذه الطريقة قد اقترنت بأسم حنين بن إسحق أكثر من اي ناقل آخر ممن سلك السبيل ذاته في الترجمة))[2].

وذلك لأنه كان دائماً يتوخى أداء المعنى بتعبير سلس ودقة علمية، متحاشياً الغموض ومتجنباً التحوير، ومما ساعده على ذلك وأضفى على ترجماته فصاحة وسلاسة امتلاكه زمام اللغات التي يترجم منها أو اللغة التي يترجم إليها.

الخاصية الثانية- فن المقاة في أدب الترجمة:

من بين الخصائص التي اتصفت بها مدرسة حنين بن إسحق هو إتباع منهج علمي سليم يرتكز أولاً على محاولة الحصول على النسخة الأصلية التي لا يصل إليها الشك في اصالتها لأي كتاب يرومون ترجمته، أي أن حنيناً والعاملين معه كانوا يفضلون التعامل مع أصل الكتاب الخالي من التصحيف والانتحال.

وفي حالة تعذر الأصل كانوا يحاولون جمع عدة نسخ من المخطوط للأصل الواحد واستخدام طريقة المقابلة والمقارنة بين النسخ في سبيل تحقيق النصوص الواردة في الكتاب الذي يراد ترجمته إلى اللغة العربية أو السريانية وفي سبيل تحقيق ذلك ((كان حنين يتجشم رحلات طويلة بغية الحصول على النسخ الكاملة مثال ذلك (كتاب في البرهان) لجالينوس الذي كان نادر الوجود في القرن الثالث الهجري والذي قال عنه حنين (إنني بحثت بحثاً دقيقاً وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لكنني لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه في دمشق))[3].

و((في هذا الصدد نلاحظ أن المستشرق الألماني برجستراسر Bergstrasser وفرانز روزنتال Ronsenthal وكذلك ماكس مايرهوف Meyerhaf يدفعون بمجموعة من الآراء حول منهج حنين وطريقته في مقابلة المخطوطات أو النسخ بعضها ببعض. ففي فقرتين متتاليتين يذكرهما برجستراسر عن حنين يرى أنه لم يكن ثمة طريقة خاصة به، وإنما طريقته اتباع دقيق لتقاليد وتعاليم المدرسة السريانية في الترجمة.

يقول برجستراسر في الفقرة الأولى: ((ونحن نرى في تقاليد المدرسة اليونانية- السريانية أمثلة كافية للوقوف على طريقة مقابلة المخطوطات. فقد كان معروفاً عند هذه المدرسة، أن مقابلة المخطوطات المختلفة لكتاب ما، هي الوسيلة الوحيدة لإقامة نص موثوق به. وكان الغرض من استعارة الكتب بين علماء السريان وهو قراءتها ونسخها ومقابلتها)).

ثم نجد برجستراسر في فقرة أخرى ليست بعيدة عن هذا الموضع يقول: ((وكانت المدرسة اليونانية السريانية تدرك تماماً فائدة مقابلة المخطوطات، ونحن نعرف أن حنيناً قد استخدم قواعد المقابلة في عمله، ولكنها لم تكن من ابتداعه شخصياً. وهو حينما سماها (عادته الشخصية) كان

يعني أنه التزم تطبيق قواعد أكثر مما التزمها من سبقوه))[5].

ويقف روزنتال في رأي مع برجستراسر ويعتقد أنه اكتشف الطابع المميز لأسلوب حنين في الترجمة، ويعتقد أيضا أن الأسلوب الذي كان يتبعه حنين في الترجمة برتابة ودقة هو أحد التقاليد الرئيسية للمدرسة السريانية ـ الإغريقية في الترجمة، وأن هذا الأسلوب لم يكن من ابتدع حنين، وفي هذا الصدد يقول روزنتال: ((ونحن لا نظن ان طريقة حنين في معارضة المخطوطات التي كان يعالجها كانت من ابتكاره، بل يجب أن يكون قد اقتبسها عن التقليد الذي كان معروفاً في حلقات الترجمة السريانية اليونانية))[6].

الخاصية الثالثة ـ احترام النص الأصلي وتوخي الكمال في الترجمة:

من المعروف أن ((الترجمات مهما بذل فيها من حذق وعناية وعلم ودراية لا تكون كالأصل، وبخاصة الترجمات السريانية. فقد تعود أصحابها التصرف بالأصل وإضافة شروح وآراء أخرى إليها قد تخالف آراء المؤلفين، نسبت إلى أصحاب تلك المؤلفات عمداً أو سهواً. لذلك لم يكن غريباً أن تتعرض النقول الأولى لسيل من الحملات أملتها النظرة العجلى، ولكن النقول لم تكن نهائية. وليس أدل على ذلك من إعادة ترجمة الكتاب الواحد مرات متعددة عن مصادر مختلفة ومقابلة الترجمات بعضها ببعض. لقد كانت هذه الطريقة من الأساليب المتبعة بين العلماء للوصول إلى النص الأصلي الصحيح مما يؤذن بالرغبة الأكيدة في تحري الدقة والحرص على الأمانة العلمية، كما نفعل في هذه الأيام، وهذه الطريقة العلمية السليمة بدت تباشيرها في القرن الثالث للهجرة، وكانوا يشترطون لصحة النقل إلى جانب معارضة النسخ وتصحيحها بعضها ببعض. فهم اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها. ولا يقصر الأمر على ذلك بل كانوا يشترطون أيضاً فهم الموضوع وتصوره كتصور قائله والإحاطة به إحاطة تامة))[7].

((وكان حنين بن إسحق يبحث دائماً عن الأجود في عمله العلمي، وكان يراجع نقولاته السابقة التي ترجمها في صدر شبابه، وكذا ترجمات تلامذته، وفق منهج علمي دقيق ثابت، ليرسي بذلك القواعد العلمية لمدرسته، وليحذو تلامذته من بعده أسلوبه وطريقته. ولدينا بعض النصوص الهامة التي خلفها حنين في رسالته إلى علي بن يحيى يؤكد فيها أسلوبه، ولذا سوف نعرض هذه النصوص، ثم نناقش آراء من تناولوا أسلوب حنين وفقا لها))[8].

١. حين تحدث حنين عن كتاب جالينوس في الفرق ذكر: ((وقد كان ترجمه قبلي إلى السرياني رجل يقال له ابن سهدا من أهل الكرخ، وكان ضعيفاً في الترجمة، ثم إني ترجمته وأنا حدث من أبناء عشرين سنة أو أكثر قليلا لتطبب من أهل جنديسابور يقال له شير يشوع بن قطرب من نسخة يونانية كثيرة الإسقاط، ثم سألني بعد ذلك وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها جيش تلميذي إصلاحه بعد أن كانت قد اجتمعت له عندي عدة نسخ يونانية، فقابلت تلك بعضها ببعض حتى صحت منها نسخة واحدة ثم قابلت بتلك النسخة السرياني وصححته وكذلك من عادتي أن أفعل في جميع ما أترجمه))[9].

٢. ومن معرض حديثه عن كتاب جالينوس في القوى الطبيعية يقول: ((وقد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية سرجس ترجمة سوء ثم ترجمته أنا إلى السريانية وأنا غلام قد أتت عليّ سبع عشرة سنة أو نحوها لجبريل بن بختيشوع ولم أكن ترجمت قبله إلا كتاباً واحداً سأذكره بعد وترجمته من نسخة

يونانية فيها إسقاط، ثم إني تصفحته إذا أحسنت فوقعت منه إسقاط آخر فأصلحتها وأحببت إعلامك ذلك لكيما إن وجدت لهذا الكتاب من ترجمتي نسخا مختلفة عرفت السبب في ذلك))[10].

٢. وعن كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة، يقول: ((وقد كان بختيشوع بن جبريل سألني تصفحه وإصلاح إسقاطه ففعلت بعد أن أعلمته أن ترجمته أجود وأسهل فلم يقف الناسخ على تخلص المواضع التي أصلحتها فيه وتخلص كل واحد من تلك المواضع بقدر قوته فبقي الكتاب غير تام الاستقامة والصحة إلى أن كانت أيامنا هذه وكنت لا أزال أهم بإعادة ترجمته))[11].

٤. وعن كتاب حيلة البرء لجالينوس، يقول أن سلمويه أراد أن يصلح الترجمة: ((فقابلني ببعض المقالة السابعة ومعه السرياني ومعي اليوناني وهو يقرأ على السرياني وكنت كلما مر بي شيء مخالف لليوناني خبرته به فجعل يصلح حتى كبر عليه الأمر وتبين له أن الترجمة من الرأس أرخى وأبلغ وأن الأمر يكون فيها أشد انتظاما))[12]. ثم يتابع قائلا: ((وكانت عندي للثماني المقالات الأخيرة منه عدة نسخ باليونانية فقابلت بها وصححت منها نسخة وترجمتها بعناية ما أمكنني من الاستقصاء والبلاغة فأما الست المقالات الأول فلم أكن وقعت لها إلا على نسخة واحدة وكانت مع ذلك نسخة كثيرة الخطأ فلم يمكني لذلك تخلص تلك المقالات على غاية ما ينبغي. ثم إني وقعت على نسخة أخرى فقابلت هذا الكتاب باليونانية قليلة))[13].

ومن أجل أن يقترب حنين من الكمال في الترجمة وكما يقول الدكتور ماهر عبد القادر كان دائم الاحترام ((للنص الأصلي من حيث المضمون، وفي كثير من الأحيان كان يلتزم بالشكل أيضاً. وهذا يعني أنه يتميز بعمق النظرة وصحة الاستدلال، وإصابة الفكرة، فضلا عن التعبير الأنيق والتنغيم العذب. وكان يوفي الفكرة حقها، وفي كثير من الأحيان كان يترجم كل كلمة وردت في الأصل، ولا يتسرع في اعتبار هذه الكلمة أو تلك حشواً أو تزيداً.

وقد برهن أن على المترجم أن يقاوم ميله إلى الاختصار مضحيا بجملة هناك وكلمة هنا. ومن حيث ادوات الربط وجدناه في كثير من كتبه يميز بين الواو والفاء، وبين الفاء وثم حروف الجر ومعانيها لأنها مع الفعل والوصل أساس البلاغة. وقد كان الرجل فطنا إلى الصعوبات المتضمنة في كل هذه العملية، لأنه قد يصبح من العسير في كثير من الحالات نقل الصور الخيالية والأقوال الدارجة والكلمات المأثورة ووجوه البلاغة الأخرى من لغة إلى أخرى، ربما يكون السبب الحقيقي في هذا أن لكل لغة رصيدها واختلافاتها، وتباين نظرة الناطقين بها إلى الكون والأشياء))[14].

و((كثيرا ما كان حنين يصف بعض ترجمات الآخرين بأنها (رديئة). ويقوم بإعادة الترجمة مرة أخرى، وهذا ما فعله في كثير من الأحيان في بعض مترجماته التي نقلها في صدر شبابه، فهل هذا يعني أن تلك الترجمات كانت رديئة فعلا؟

لدينا افتراضان: الأول/ إما أن تكون الترجمة الموصوفة رديئة فعلا وفي هذا الحالة كان لابد من مترجمين آخرين أن يفطنوا إلى هذا الأمر، وهذا ما لم يحدث، وظلت تلك الترجمات معمولاً بها، يدرس عليها الطلاب، كما هو الحال في الكتب التي كانت تدرس بالإسكندرية ونقلت إلى السريانية، لقد وصف حنين بعضها بأنها (رديئة).

والافتراض الثاني/ أن يكون مستوى حنين في الترجمة رفيعا وعاليا إلى درجة كبيرة جداً بحيث كان

ينظر إلى هذه الترجمات على أنها ليست دقيقة، أو أنها ليست جيدة، أو بتعبيره هو (ترجمات رديئة). ومن جانبنا نرجح هذا الافتراض. لكن ينبغي أن نشير إلى أن حنين بن إسحق أشار إلى هذه المسألة في مرحلة متأخرة، وليس في صدر شبابه. ومن ثم ينطبق على ترجماته من صدر شبابه المقولة التي تصدق على الافتراض الأول، والدليل على حجية هذا التصور الإشارات المتعددة التي أوردها حنين في كتابه إلى علي بن يحيى))[٥]. والتي ذكرناها في فقرة سابقة.

الخاصية الرابعة ـ الأمانة في النقل:

ولابد لنا ونحن نتكلم على خصائص مدرسة حنين في الترجمة أن نتطرق إلى نقطة أخرى تتصل اتصالاً مباشراً بالموضوع وعلى جانب كبير من الأهمية، تلك هي مسألة الأمانة والدقة فيما تم نقله من العلم والمعارف من اللغات المختلفة إلى العربية.

وقد اختلف الباحثون المحدثون في تقويم أمانة أولئك النقلة السريان بشكل عام، فمنهم من أطرى ومدح وآخرون كانوا ناقدين قادحين.

ففي هذا المضمار يقول الأستاذ أحمد أمين:

((وكان هؤلاء السريان ينقلون العلوم اليونانية بدقة وأمانة فيما لم يمس الدين كالمنطق والطبيعة والطب والرياضة، أما الإلهيات ونحوها فكانت تعدل بما يتفق والمسيحية حتى لقد حولوا أفلاطون في كتاباتهم إلى راهب شرقي، فقالوا أنه بنى لنفسه معبداً في برية بعيداً عن الناس وظل يتعبد فيه سنين، وهذه هي الطريقة التي سلكها المسلمون بعد، فقد أغفلوا من الإلهاب كثيراً مما يخالف تعاليم الإسلام))[٦].

ويقارن الدكتور أمين أسعد خير الله بين هؤلاء النقلة والنقلة اللاتين في العصور الوسطى المسيحية فيقول: ((فبين ما ترجم العرب من اليونانية وبين ما ترجم الإفرنج من العربية إلى اللاتينية نجد البون الشاسع بين أمانة أولئك وصدق ترجمتهم وبين تقصير هؤلاء وعدم أمانتهم))[٧].

ويقول الدكتور رشيد الجميلي: ((كان حنين بن إسحق أميناً في نقله، حريصاً كل الحرص على أداء النص اليوناني أداءً صادقاً وأعانه على ذلك تمكنه من اليونانية والسريانية وقدرته على التعبير العربي السليم، وكان حنين يحقق ويدقق ويصحح ويراجع، ولا يأنف أن يعيد ترجمة ما ساءت ترجمته. وبرغم انتسابه إلى الثقافة السريانية، لم يتردد في أن يعلن قصور مترجماته القديمة، وحاول أن يتدارك نقصها عن طريق الترجمة العربية)).

ويقول في موضع آخر: ((وكان التراجمة، حنين بن إسحق العبادي، وابنه إسحق بن حنين، وابن أخته حبيش بن الأعسم، وثابت بن قرة، وقسطا بن لوقا البعلبكي، ويعقوب بن إسحق الكندي، جميعهم مشهورين بصدق النظر وسعة المعارف والنزاهة واستقامة الأخلاق، فضلاً عن فهمهم الموضوع الذي يترجمونه ومعرفتهم باللغتين المترجم عنها والمترجم لها معرفة وافية، وكانوا يأخذون من المخطوطات اليونانية لبابها ويضعونه في قالب واضح بارز)).

((وكان أشهر المترجمين (الذين مر ذكرهم) مثال المانة فيما نقلوه، وكانوا إذا وجدوا الترجمة غير مرضية يهملونها ويبدأونها من جديد. كما اتفق في ترجمة بعض تأليف جالينوس فقد أهملت ترجمة ابن البطريق وأخذ مكانها ترجمة حنين، كما أهملت عدة تراجم للمجسطي، فلم يبق سوى ترجمة حنين وإصلاح ثابت))[٨].

بينما يقول الأستاذ أمين مدني على أن هناك من يرى: ((أن النساطرة واليعاقبة لم يكونا أمناء فيما ينقلونه وان كثيراً من أخطاء الباحثين القدامى يرجع سببها إلى عدم أمانة المعرّب أو ضعفه. وأنا لا أستبعد وجود الخطأ فيما ينقل من لغة إلى لغة في الماضي والحاضر. ولكن الأخطاء مهما بلغت لا تشمل جميع ما ينقل. ولا أعتقد أن الأخطاء التي ينسبها البعض على عدم الأمانة. وقعت جميعها عمداً لغرض ما، فقد يكون هناك خطأ في الترجمة من اليونانية إلى السريانية وفي النقل من السريانية إلى العربية. وقد يكون اجتهاد في الفهم وفي التأويل وفي التفسير)).

((على أنني لا أبرئ النساطرة واليعاقبة من الأخطاء المتعمدة التي قد تدفع إليها عقائدهم وعنصريتهم، ولكن وجود هذه الأخطاء فيما عرّب في الرها ونصيبين وحران. لم يبلغ درجة. عدم صلاحيتها للرجوع إليها))[٣].

الخاصية الخامسة. الترجمة للسريانية أولاً ثم للعربية:

((تجدر الإشارة هنا إلى أسلوب آخر اتبعه بعض من النقلة في ترجماتهم، وينطبق هذا الأسلوب بصفة خاصة على التراجمة السريان، وأعني به اسلوب الترجمة من اليونانية إلى العربية عن طريق السريانية. فقد جعل التراجمة السريان من لغتهم الواسطة التي تنتقل منها علوم ومعارف اليونان إلى اللغة العربية، وهذا ما طبقه حنين بن إسحق ومدرسته إذ نرى أن حنيناً هذا كان يترجم من اليونانية إلى السريانية، ليتولى بعد ذلك إسحق بن حنين، وحبيش الأعسم تتمة الترجمة إلى العربية من اللغة السريانية، علماً بأن حنين بن إسحق كان يتقن اللغة العربية إتقاناً كاملاً كإتقانه للغات التي يترجم منها كاليونانية مثلاً)).

((ونحن نرى أن الأسلوب الجديد في الترجمة، على الرغم مما كان يرافقه من قلة ما يترجم إلى العربية، وما كان سيحدثه العكس فيما لو اتبع أسلوب الترجمة المباشر من اليونانية إلى العربية، وانصراف النقلة الآخرين بجهودهم إلى ترجمات مماثلة أو مغايرة عوضاً عن حصرها في ترجمة عربية واحدة لكتاب واحد وبترجمة سريانية سابقة عليه، أقول على الرغم من المأخذ على هذه الطريقة السريانية في الترجمة، فإنني أرى أن وراءها أسباباً أدت إلى ذلك أهمها:

١. رغبة حنين وجماعته في نشر لغتهم السريانية على نطاق واسع، حيث يضطر الشخص الذي يرغب في الاطلاع على علوم ومعارف اليونان إلى أن يتعلم اللغة السريانية أولاً كي تسهل عليه قراءة هذه الترجمات، على الرغم من معرفتنا بأن الكتب السريانية كانت تترجم بدورها إلى العربية، ولكن من يدري، فلعل الكثير من الكتب اليونانية قد ترجمت إلى السريانية فقط ولم تترجم إلى العربية فيما بعد.)).

٢. العمل على إغناء التراث السرياني بعلوم ومعارف التراث اليوناني، الأمر الذي يكسبه أهمية فوق أهميته الأصلية.

٣. رغبة حنين بن إسحق في إشراك ابنه إسحق بن حنين وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم في ترجماته هنا، الأمر الذي يوسع دائرة النقلة السريان في ترجماتهم للتراث اليوناني، خاصة أنهما في الصف الأول من فريق النقلة لمدرسة حنين بن إسحق للترجمة.

٤. وأما من حيث اللغة اليونانية. وهي مصدر تلك الترجمات السريانية. فإن حنين بن إسحق، كما

هو معلوم، كان يتقن هذه اللغة اتقانا عظيما وإلى الدرجة التي لا ينافسه فيها أحد، وأن كل من عرف هذه اللغة من النقلة الآخرين، يأتون بعده درجة في الترجمة، لذلك فضلوا جميعاً على أن يتولى حنين تنفيذ المرحلة الأولى في الترجمة من اليونانية إلى السريانية - لغتهم الأصلية - لينفذوا هم بعد ذلك المرحلة الثانية والأخيرة في الترجمة من السريانية إلى العربية))[20].

وبهذا الصدد يقول أوليري: ((وكثيراً ما وضع المترجم نفسه ترجمتين من الإغريقية، إحداهما بالسريانية والأخرى بالعربية، وكان ثمة مترجمون من السريانية، ولكن هؤلاء يأتون عادة بعد المترجمين من الإغريقية))[21].

وبخصوص هذا الأسلوب في النقل يذكر الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا: ((أما الترجمة الحرفية فقد كانت شائعة بين المترجمين السريان عندما كانوا يترجمون من لغة اليونان، وبين المترجمين اليهود اللاتين في طليطلة عندما كانوا ينقلون من العربية إلى العبرية واللاتينية بعد سقوط طليطلة. إن هذا النوع من الترجمة الحرفية، كان أسلوباً مألوفاً عند العرب، ولكن منذ عهد حنين بن إسحق في القرن التاسع الميلادي أصبحت مهمة المترجم - نظرياً وعملياً - نقل المعنى الصحيح نقلاً دقيقاً مضبوطاً))[22].

وبصدد هذا الأسلوب المميز في الترجمة يرى الأستاذ عبد الرحمن بدوي: ((إن المترجمين إلى العربية في القرن الثاني كانوا يميلون عادة إلى الترجمة من السريانية إلى العربية إلى المترجمين من الدرجة الثانية، وهكذا كان يفعل حنين بن إسحق في غالب الأمر، على الرغم من إتقانه للغة العربية. والسبب في هذه الظاهرة الغريبة - فيما يلوح - الرغبة في الإسراع في إنجاز أكبر عدد من الكتب، وكان المصطلح العربي لم يتكون بعد بينما تكون في السريانية منذ قرون، فكان من الأيسر خصوصاً في الكتب الطبية - أن يقوم كبار المترجمين الذين يتقنون اليونانية - وهم قلة بصعب الترجمة من اليونانية إلى السريانية ويعرفون العربية وهم كثرة وجلهم أو كلهم لا يعرفون اليونانية - أن يقوم بالعمل الثاني، وهو الترجمة من السريانية إلى العربية، على أنه قد يقع للمترجم الواحد أحياناً أن يترجم الكتاب الواحد من اليونانية إلى السريانية، ثم من السريانية إلى العربية))[23].

ويعقب على ذلك الدكتور رشيد الجميلي فيقول: ((والواقع إنني لا أتفق مع ما ذهب إليه الأستاذ بدوي حول باعث هذه الطريقة في الترجمة وذلك لأن الذي يترجم من اليونانية إلى السريانية، يمكنه أن يؤدي نفس الدور الذي يقوم به غيره من النقلة، الذي ينقل من السريانية إلى العربية، بسبب معرفته لليونانية والعربية وهما اللغتان الرئيسيتان في الترجمة المنشودة.

وعلى عكس رأي الأستاذ بدوي تماماً، فإنني أرى أن هذه الطريقة تؤدي إلى قلة الإنتاج في الترجمة لا إنجاز أكبر عدد من الكتب. كما يقول الأستاذ بدوي. وذلك لاشتراك عدد غير قليل من النقلة في ترجمة كتاب واحد، وبعكسه ماذا سيؤول إليه الأمر لو أن المترجم من اليونانية قد ترجم إلى العربية مباشرة دون واسطة اللغة السريانية؟ إن الأمر بطبيعة الحال سيترتب عليه زيادة في عدد الكتب المترجمة، وهو عكس ما قرره الأستاذ بدوي. ومهما يكن من أمر هذه الطريقة في الترجمة، فإن العرب قد تمكنوا بواسطتها من الإطلاع على تراث اليونان وهذا هو الأهم))[24].

المصادر والمراجع

١. محمد، الدكتور ماهر عبد القادر: حنين بن إسحق العصر الذهبي للترجمة. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧، ص١٤٧.

٢. الصفدي، الشيخ صلاح الدين خليل آيبك: الغيث المسجم في شرح لامية العجم. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٥، المجلد الأول، ص٧٩.

٣. الجميلي، الدكتور رشيد: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري. دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦، ص٤٠.

٤. حنين بن إسحق: كتاب العشر مقالات في العين. تحقيق وتقديم وترجمة ماكس مايرهوف (طبعة عربية إنكليزية) المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٢٨، ص٢٩.

٥. برجستراسر: أصول نقل النصوص ونشر الكتب. إعداد وتقديم حمدي البكري، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، مطبعة الكتب، القاهرة ١٩٦٩، ص٩٢، ٩٤.

٦. روزنتال، فرانز: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. دار الثقافة، بيروت ١٩٦١، ص٧٢.

٧. الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص٤٧. ٤٨.

٨. الدكتور ماهر: حنين بن إسحق (مصدر سابق)، ص١٣٣. ١٣٤.

٩. حنين بن إسحق: رسالة إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض مالم يترجم، نشرها عبد الرحمن بدوي في دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١، ١٥١.

١٠. المصدر نفسه: ١٥٤.

١١. المصدر نفسه: ١٥٥.

١٢. المصدر نفسه: ١٥٨.

١٣. المصدر نفسه: ص١٥٨. ١٥٩.

١٤. الدكتور ماهر: حنين بن إسحق (مصدر سابق)، ص١٤٠.

١٥. المصدر نفسه: ص١٤٢.

١٦. أمين، أحمد: فجر الإسلام. بيروت ١٩٦٩، ص١٢.

١٧. خير الله، الدكتور أمين أسعد: الطب العربي. المطبعة الأمريكانية، بيروت ١٩٤٦، ص٤٦.

١٨. الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص٢٥٢، ٤٦، ٤٧.

٢٠. أوجزنا هذه الفقرة عن الدكتور الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص٤٢. ٤٤.

٢١. أوليري، دي لاسي: الفكر العربي ومكانه في التاريخ. ترجمة تمام حسان، القاهرة ١٩٦١، ص١١٢.

٢٢. مرحبا، الدكتور محمد عبد الرحمن، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. ص٢٢٠.

٢٣. بدوي، الدكتور عبد الرحمن: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام. القاهرة ١٩٥٤، ج١، ص٤٠. ٤١.

٢٤. الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص٤٤.